رؤى عالمية

العدد 3، 21 سبتمبر 2021

انعكاسات ممتدة:

عقدان على 11 سبتمبر.. إرث الخوف والمراقبة والإسلاموفوبيا

مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة

أعطت مراكز الفكر والبحث العالمية أهمية كبيرة للذكرى العشرين لأحداث 11 سبتمبر 2001، إذ سعت لاستخلاص التغيرات البارزة التي ألمت بعالمنا على مدار هذين العقدين، إلا أن وجهات النظر تباينت إزاءها، إذ طرح البعض، من وجهة نظر أمنية، مدى انعكاس أحداث سبتمبر على زيادة الاحتياطات الأمنية، ليس فقط في الولايات المتحدة، وإنما لدى شركائها وخصومها، إذ نضجت إلى حدٍ كبير التكنولوجيا الأمنية، وظهرت أساليب وأدوات جديدة ومختلفة غيَّرت وجه الحروب والصراعات.

بينما تناول البعض الآخر التغيرات الاجتماعية الناتجة عن هذه الأحداث، فقد رأت تحليلات أن الأمريكيين أصبحوا أكثر خوفاً وعزلة، وترسخت لديهم أفكار تتعلق بأنهم مستهدفون ومعرضون للخطر. بل إن التركيبة السُكانية ذاتها تغيرت، إذ بدا هناك تراجع واضح لنمو السكان الأمريكيين مقابل استقرار معدل نمو الأعراق الأخرى، ما أدى إلى انتشار القضايا الحقوقية العرقية وزيادة التوترات الداخلية.

بدورها، تناولت بعض التحليلات أحداث سبتمبر من منظور تصاعد ظاهرة الإسلاموفوبيا، وتعزيز الصور الذهنية السلبية عن المسلمين والدول العربية، فضلاً عن فرض تزايد قيود الهجرة، إضافة إلى ما واجهته مبادئ حقوق وحريات الإنسان، من انتهاكات بسبب الحرب على الإرهاب، ناهيك عن تغيرات اقتصادية أثرت على المكانة الاقتصادية الأمريكية، ومنحت الفرصة لقوى أخرى في الظهور، خاصة الصين. كل هذه التغيرات وغيرها يطرحها هذا التقرير الذي يعرض أبرز تحليلات مراكز الفكر والبحث العالمية في الذكرى العشرين لأحداث 11 سبتمبر.

أولوية الأمن وتطور تكنولوجيا المراقبة:

أشار تحليل لـ مركز The Council of Councils إلى أن أحداث 11 سبتمبر لم تنتج فقط تحولاً في الأمن المحلي الأمريكي، وإنما الأمن العالمي، عبر حدوث تغيرات جذرية في طريقة استخدام الولايات المتحدة لآليات وتكنولوجيا الرد على التهديدات.

وأشار التحليل إلى أن الولايات المتحدة قد أنشأت وزارة مُخصصة للأمن الداخلي جمعت فيها كياناتها الاستخباراتية بهدف منع واستباق الهجمات ضد الدولة، من خلال دمج معلومات التهديد وتعزيز قدرات مكافحة الإرهاب لاكتشاف التهديدات وتعطيلها.

ووفقاً للتحليل، فقد امتد تأثير هجمات سبتمبر ليشمل إعادة تشكيل مجتمع الاستخبارات الأمريكية، إذ خضعت وكالة الاستخبارات المركزية لتحول في أهداف المراقبة من تهديدات الدولة التقليدية وجيوشها إلى الجماعات المسلحة عبر استحداث أدوات وأساليب جديدة للمراقبة.

الأمر ذاته أكده جاريت جراف Garrett M. Graff في تحليل بموقع The Atlantic، حيث رأى أنه تم إنشاء العشرات مما يسمى بـ «مراكز اندماج الدولة" في الولايات المتحدة State Fusion Centres، وهي كيانات خاضعة لرقابة قليلة تستهدف ظاهرياً تعزيز مشاركة المعلومات الاستخبارية بين مستويات متعددة من الحكومة، لكنها في الواقع تستهدف أشخاصاً، مثل أعضاء الجماعات المناهضة للحرب. كما تم تسريع عسكرة إدارات الشرطة المحلية، كونها

"رؤى عالمية" تصدر عن "المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة"، وتهدف إلى عرض أبرز ما يُنشر في مراكز الفكر والمجلات ودور النشر الغربية، من أفكار غير تقليدية واتجاهات صاعدة في مختلف المجالات السياسية والأمنية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية.

في الخطوط الأمامية للهجمات الإرهابية، حيث تم تزويد ضباط الشرطة بأسلحة حرب من مركبات عسكرية ثقيلة، وبنادق، وقاذفات قنابل يدوية، ومعدات تكتيكية أخرى.

في السياق ذاته، تطورت مراقبة الإنترنت المحلية والعالمية، وفق تحليل مركز The Council of Councils، عبر بروز آلية جمع البيانات الجماعية والتحليلات، والتي توصف تقنياً بـ «المعلومات غير المختارة" Unselected Information، والتي تتطلب أدوات تخزين وإدارة وتحليل للبيانات، بما في ذلك قوة الحوسبة غير المسبوقة، وتطبيق الذكاء الاصطناعي لتقنية المعلومات. تلك التقنيات المُستخدمة في المراقبة تمثل تحولاً تاريخياً بعيداً عن جمع المعلومات الاستخبارية المستهدفة، إذ يؤكد التحليل أن نمو المراقبة الاستخبارية والقتال الحربي هو الإرث الرئيسي لهجمات 11 سبتمبر.

بدوره، ركز تحليل المعهد الإيطالي للدراسات السياسية الدولية (ISPI) على نمو الطائرات من دون طيار في المجال الأمني بعد 11 سبتمبر، حيث فتح ذلك طريقاً جديداً لشن الحرب، بل وأصبحت تلك الأدوات ضرورية لإحباط الهجمات.

وذكر التحليل أنه قد تم استخدام طائرات من دون طيار في أكثر من 2400 مهمة، بواقع عمليتين تقريباً في اليوم، وأنه على مدى السنوات العشر المقبلة، من المتوقع أن تشتري الولايات المتحدة أكثر من 1000 طائرة من دون طيار مقاتلة.

مجتمعات أكثر خوفاً وأقل حرية:

لم تكن التغيرات الاجتماعية بمنأى عن أحداث 11 سبتمبر، فيرى جاريت جراف أن الحرب على الإرهاب التي بدأت بعد أحداث 11 سبتمبر، قد أضعفت الدولة، حيث أصبح الأمريكيون أكثر خوفاً، وأقل حرية وعزلة، وهو ما أثَّر على الحياة اليومية، الأمر الذي عززه انتشار نقاط التفتيش الأمنية والأجهزة الأمنية داخل المباني، فضلاً عن الحواجز الواقية. ويرى الكاتب أيضاً أنه قد ترسخ في أذهان الأمريكيين أن الولايات المتحدة تتعرض لهجوم مستمر من قِبَل عدو غامض وواسع الانتشار، وذلك بدلاً من توضيح أكثر للأمر، بأنها مستهدفة من مجموعة محددة ذات انتماء وأيديولوجية معينة، إذ أصبحت الصورة الذهنية متعلقة بشكلٍ أكبر بأن الولايات المتحدة تسعى لتخليص نفسها، والعالَم من «الرعب» و«الشر».

على الجانب الآخر، لفت تحليل معهد (ISPI) النظر إلى تغيرات أخرى حدثت في المجتمع الأمريكي، خاصة التركيبة السكانية، حيث أشار إلى تراجع نمو السكان الأمريكيين خلال العقدين الماضيين بسبب قيود الهجرة الجديدة. فعلى سبيل المثال، بلغت نسبة زيادة السكان (0.35%) في عام 2020، وهو أدنى معدل نمو سنوي منذ عام 1900، كما أظهر التحليل أن النمو لدى السكان البيض لم يشهد نمواً خلال

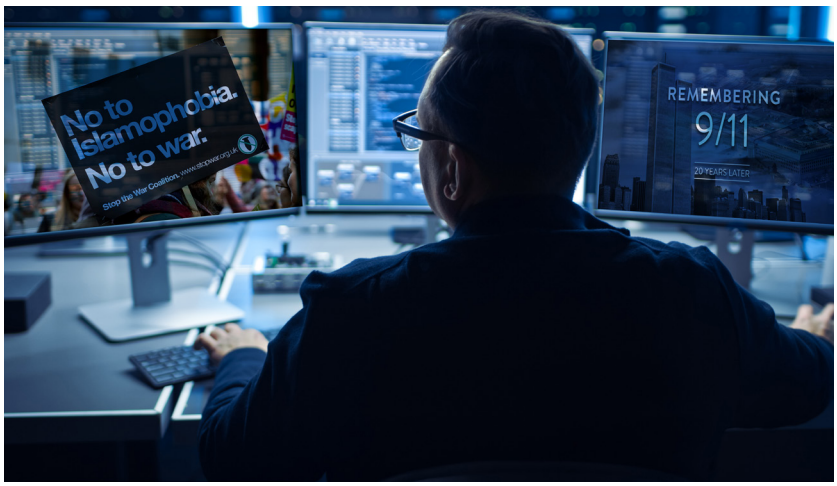

العقدين الأخيرين، إذ كانت النسبة 69.1% في عام 2000، بينما انخفضت لـ 57.8% في عام 2020، على العكس من ذلك، استمرت نسبة نمو السكان السود دون تغيير تقريباً (حوالي 12%)، في حين زادت نسبة السكان من أصل إسباني من (12.6%) إلى (18.7%)، ونمت العروق الآسيوية من (3.6%) إلى (5.9%). أنتج كل ذلك تنوعاً عرقياً أكبر، مما ترتب عليه «فجوة ثقافية بين الأجيال» تجلت بظهور حملات وقضايا تتعلق بحقوق السود، التي كان من أبرزها حملة Black Lives Matter في عام 2013، حيث انتشر هاشتاج #Black-LivesMatter في وسائل التواصل الاجتماعي، على خلفية إطلاق الرصاص وقتل شاب أمريكي من أصل إفريقي، وهو ما أدى إلى تفاقم التوترات الاجتماعية، وفقاً لجاريت جراف.

تصاعد الإسلاموفوبيا وتوظيفها عسكرياً:

يرى خبراء أيضاً في تحليل مركز The Council of Counci-ls أن ثمة تصاعداً للمشاعر المعادية للمسلمين، بعد أحداث 11 سبتمبر بسبب انتشار الخوف من الهجمات الإرهابية، ما أدى بالتبعية إلى التركيز على أمن الحدود لمنع الهجرات والتنقلات، خاصة مع وجود معلومات حول أن الهجمات الإرهابية جاءت من جهات أجنبية تسللت عبر الحدود. هنا، تشير داليا مجاهد، مديرة الأبحاث في معهد السياسة الاجتماعية والتفاهم، في مقالتها على CNN إلى أن اتخاذ موقف عدائي من المسلمين كان موجوداً قبل 11 سبتمبر بفترة طويلة، إلا أن كراهية الإسلام والمسلمين أو ما يُسمى بـ «الإسلاموفوبيا» تمت بلورتها بشكلٍ أكبر بعد هذه الأحداث.

تضيف أيضاً أن الإسلاموفوبيا باتت سلاحاً يُستخدم في خدمة الحرب والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، وأنه تجلى بطرقٍ مختلفة حول العالم، بما في ذلك اعتماد حظر سفر المسلمين؛ وقضية الإيغور المسلمين في الصين منذ 2017، والقتل الجماعي للروهينجا في ميانمار، كما ذهبت إلى أنه وبعد عقدين على أحداث 11 سبتمبر، لا تزال هناك تصورات خاطئة من قبيل احتساب أن كل العرب هم مسلمون، وأن كل النساء المسلمات مضطهدات، وأن الإسلام يُشجع على ممارسة أعمال العنف، وأن المسلمين يميلون إلى العنف، وغيرها من وجهات النظر السائدة.

استكمل تحليل معهد (ISPI) وجهة النظر هذه بأن الإسلاموفوبيا برز كتهديد هيكلي للتوازن الاجتماعي للدول الغربية، وكثيراً ما أدت الزيادة في تدفقات الهجرة التي شهدناها في السنوات الأخيرة إلى حلقات خطيرة من التعصب والعنف والرفض، خاصة مع بزوغ مفهوم «الآخر» بشكل عميق في السنوات العشرين الماضية، فظهور الإسلاموفوبيا نتج عنه مزيد من الهجوم والعنف ضد المسلمين، إذ تعرض المسلمون في عام 2000 إلى 12 هجوماً ليزيد ذلك إلى 93 في عام 2001، ثم يتصاعد إلى 227 هجوماً في عام 2020 وفقاً لمكتب التحقيقات الفيدرالي.

مكافحة إرهاب وتكلفة حقوقية واقتصادية

مع تصاعد الحرب على الإرهاب إثر أحداث 11 سبتمبر، فقد كان من تبعاتها تضرر قضية حقوق الإنسان، إذ قبلت الولايات المتحدة انتهاكات حقوق الإنسان تحت مسمى حالات الطوارئ، فضلاً عن المساهمة في نشر خطاب الكراهية، وفقاً لجراف الذي رأى أن عدداً كبيراً من المعتقلات والسجون قد تم إنشاؤها بعد أحداث 11 سبتمبر، وتم انتهاج أساليب غير إنسانية في التعذيب، وإجبار العديدين على الاعتراف، وأن كل ذلك تم من دون محاسبة أي مسؤول، سواء في الجيش الأمريكي أو حتى في المخابرات.

لكن التكلفة الحقوقية لما جرى بعد 11 سبتمبر امتدت بدورها إلى أخرى اقتصادية عبر عنها جوزيف ناي في مقاله على موقع Project-Syndicate. إذ رأى أن الخسائر الاقتصادية والبشرية لتلك الأحداث كانت مرتفعة، وأنه بحسب بعض التقديرات، فقد قُتل ما يقرب من 15000 من الجنود الأمريكيين في الحروب التي أعقبت 11 سبتمبر، وهو التوجه نفسه الذي ركَّز عليه جزء من تحليل معهد (ISPI)، إذ أفاد بأن 900 ألف شخص قتلوا في حروب ما بعد 11 سبتمبر، بينهم 335 ألف مدني، فيما بلغت التكلفة الاقتصادية الإجمالية للولايات المتحدة قرابة 8 تريليونات دولار، ونوه التحليل إلى أن الحرب الأفغانية التي استمرت 20 عاماً حتى انسحبت الولايات المتحدة منها مؤخراً، أدت إلى وفاة 2500 جندي أمريكي، و67000 جندي أفغاني و47000 مدني.

تلك التكلفة الاقتصادية أثرت على تغير توازنات القوى العالمية، إذ يذهب تحليل معهد (ISPI)، إلى أن الولايات المتحدة فقدت القيادة المنفردة للاقتصاد العالمي خلال العشرين عاما الماضية، بل إن الحرب على الإرهاب التي أعقبت هجمات 11 سبتمبر أجَّلت قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على احتواء الصعود الصيني الذي بدا منافساً قوياً محتملاً على القيادة الاقتصادية العالمية على المدى الطويل.

يظل في الأخير، أنه وعلى الرغم من مرور أكثر من 20 عاماً على أحداث 11 سبتمبر، فإن آثارها لا تزال ممتدة حتى اللحظة، والتي ألقت بظلالها على رقعة كبيرة من العالم، وغيرت معالم كثيرة من الجوانب الأمنية والسياسية والمجتمعية والاقتصادية، وساهمت في تغيير القوى الاقتصادية والسياسية على مستوى العالم، فتبعات أحداث 11 سبتمبر متشابكة ومُعقدة، ويُمكن القول إنها مستمرة، بل ويمكن اكتشاف مزيد من ملامح التغيرات التي طرأت مستقبلاً بمرور الوقت.

المصادر:

1- Garrett M. Graff, After 9/11, the U.S. Got Almost Everything Wrong: A mission to rid the world of “terror” and “evil” led America in tragic directions, the Atlantic, SEPTEMBER 8, 2021, Available at: https://www.theatlantic.com/ideas/archive/2021/09/after-911-everything-wrong-war-terror/620008/

2- Italian Institute for International Political Studies, 11 settembre: il mondo 20 anni dopo, 10 settembre 2021, Available at: https://www.ispionline.it/it/pubblicazione/11-settembre-il-mondo-20-anni-dopo-31597

3-JOSEPH S. NYE, JR., What Difference Did 9/11 Make?, project-syndicate, Sep 6, 2021, Available at: https://www.project-syndicate.org/commentary/20-years-after-9-11-lessons-for-america-by-joseph-s-nye-2021-09

4-Mirna Alsharif, 9 tropes about Muslims that are a product of Islamophobia, CNN, September 11, 2021, Available at: https://edition.cnn.com/2021/09/11/us/islamophobic-tropes-muslims-in-america/index.html?utm_source=fbCNNi&utm_medium=social&utm_content=2021-09-11T19%3A30%3A31&utm_term=link&fbclid=IwAR3qKBbH4XrpgMdXYum_5Z1o3sAqf5GtZ33_3UHcMajvZFLASIDcWYR9Gxo

5- RSIS, PISM, CIGI, CFR, and SWP, the 9/11 Effect and the Transformation of Global Security, the Council of Councils, Sep 01, 2021, Available at: https://www.cfr.org/councilofcouncils/global-memos/911-effect-and-transformation-global-security